الهوس بين التراث الطبي القديم والحديث
" ابقراط وكلسوس أنموذجاً"

حنان السيد محمد يوسف
كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

سماح السيد محمد راشد
كلية الطب – جامعة الإسكندرية

Mania in Ancient and Modern Medical legacy: Hippocrates and celsus as an Example

Abstract:

This Treatise addresses to diagnosis of Mania as one of mental disorders, mainly in the authorship of both Hippocrates, the Ancient Greek Physician, and Celsus, the Roman Encyclopedic. It analyzes the medical approach of each condition and how it was described in ancient medical texts literatures. Additionally, suggests a correction or an addition of some footnotes on the translation of such ancient texts, making it realizable to the contemporary reader in general, and medical practitioner in particular. The main reason of abandoning the ancient medical text by people is being in dissociation with contemporary medical terminology.

The focal point addressed by the present Treatise is "Mania" in the "Hippocratic Corpus" and "De Medicina" Encyclopedia of Celsus. From the perspective of modern medicine, it is an attempt to prove that the term "Mania", on translating many ancient Greek texts, is identical with the diagnosis of "Bipolar Disorder". It should be replaced accordingly, as we only seek scientific accuracy for translating the ancient texts.

خلاصة:

هذه المقالة تهدف إلي تشخيص الهوس كواحد من الأمراض العقلية في كتابات كل من الطبيب اليوناني أبقراط والموسوعي الروماني كلسوس بشكل رئيس، بحيث سيتم تحليل المنظور الطبي لكل حالة، وكيفية وصفها في المؤلفات القديمة. ثم يقترح المقال أيضًا تصحيحًا أو يضيف بعض الملاحظات إلى ترجمة تلك النصوص القديمة لجعلها أقرب للقارئ المعاصر عمومًا، والعامل في القطاع الطبي خاصة؛ ذلك أن أحد أهم أسباب إعراض الناس عن النص الطبي القديم، أنه بعيد عن المصطلحات الطبية الحديثة.

وهذه المقالة تعني بدراسة "الهوس *"Mania* في مجموعة أبقراط، وفي موسوعة كلسوس المسماة *De Medicina*، من منظور الطب الحديث؛ في محاولة للبرهنة على مصطلح *"Mania* المعبَّر عنه بالهوس، عند ترجمة كثير من النصوص اليونانية القديمة، يطابق تشخيص مرض الاضطراب ثنائي القطب "Bipolar Disorder"، وأنه ينبغي أن يحل هذا محل ذاك –إذا ما أردنا الدقة العلمية– في ترجمة النصوص القديمة.

مقدمة:

حظيت قضية المرض العقلي باهتمام ملحوظ من الكُتاب القدماء، وفي المؤلفات الطبية والفلسفية على السواء. وكانت الأمراض العقلية توضع في الفلسفة أحيانًا تحت اسم أمراض الروح، مع كل ما يرتبط بهذا من كلام عن العواطف البشرية والمشاعر، مثل الكآبة والغضب والخوف.(١)

ويركز البحث الراهن على مفهوم الهوس في مجموعة أبقراط وموسوعة كلسوس المسماه "De Medicina" (عن الطب) إضافة إلى استعراض ما كتب عنه من المنظور الطبي الحديث. والسر في اختيار كتابات أبقراط وكلسوس بالذات، أن الأولى تمثل حجر الزاوية في المؤلفات الطبية القديمة، والثانية موسوعة حفظت لنا أجزاء ونصوصًا من الطب الهلنستي المفقود، ومن ثم فهي مفيدة أيَّما فائدة لهذا البحث.

والواقع أن ألفاظ *"furor"*، و*"insania"*، و*"μανία"* استُخدمت جميعها بشكل عام للدلالة على معنى الجنون، الذي يختلف في هذه الكلمات بشكل واضح عن معنى التهاب الدماغ.

وهذا معناه أن هذه المصطلحات أطلقت للإشارة إلى طيف عريض من الاضطرابات النفسية، التي منها– على سبيل المثال– الهستيريا، والاضطراب ثنائي القطب، والفصام... إلخ.(٢)

إن الهدف من هذه الدراسة هو البحث عن أوجه التشابه والاختلاف في تصور المرض النفسي قديماً وحديثاً؛ وذلك في إطار محاولة وصل ما انقطع من جسور المعرفة بين الطبيبين القديم والحديث، بحيث يقرأ الأطباء المعاصرون ما كتبه أبقراط وكلسوس خاصة، وما كتبه القدماء عن المرض العقلي عامة، فيسهل عليهم فهمه، والبناء عليه بما يسهم في تطوير البحث العلمي في هذا الجانب من الدراسات. إضافة إلى تصحيح بعض المفاهيم الخطأ التي في ذهن القارئ المعاصر عن العلوم القديمة.

وغالبًا ما صور كبار الأدباء المسرحيين اليونانيين الكلاسيكيين المريض العقلي على أنه شخص مرعب جاحظ العينين مكشر عن أنيابه، مزبد الفم، يخوض في بحر من الهواجس والأوهام، ويهيم على وجهه بلا هدف، اللهم إلا ترويع الناس، أو حتى الاعتداء عليهم، مثلما نرى أجاكس عند سوفوكليس.(٣)

(1) Katalin Bán, "Madness in Seneca's Medea and Celsus's De Medicina", *Graeco-Latina Brunensia*, (2019), pp 5-16. https://doi.org/10.5817/GLB2019-1-1 (accessec 23, Juin, 2022)

(2) G E Berrios, "Of Mania: introduction: Classic text no. 57", *History of psychiatry* 15, no. 57 Pt 1 (2004): pp 105-24. doi:10.1177/0957154X04041829, and in Kate Elizabeth Murphy, "The Conceptualization and Treatments for Phrenitis, Mania and Melancholia in Aretaeus of Cappadocia and Caelius Aurelianus", Master's thesis, University of Calgary, 2013, pp 83-92. doi:10.11575/PRISM/28034

(3) Louise Cilliers,and Francois Retief, "Mental Illness in the Greco-Roman Era", in *Mania: Madness in the Greco-Roman World*, ed. Philip Bosman, (Pretoria: Acta Classica Supplementum III, Classical Association of South Africa, 2009), pp 130-7.

في حين ربطت المؤلفات الطبية القديمة –في كثير من الأحيان– بين الأمراض العقلية والخوارق للطبيعة، وكثيرًا ما كان علاجها فيها الصلوات والتعاويذ. ثم جاء أبقراط، وجاءت معه فكرة السبب العضوي للأمراض العقلية، وبدأت العلاجات تتضمن علاجات طبية وتغيير البيئة التي يعيش فيها المريض.(١)

وها هو في كتابه عن المرض المقدس –على سبيل المثال– يرفض مفهوم الأصل الخارق للأمراض عامةً.(٢)

وتبنَّى الأطباء الأبقراطيون من بعده نظرية الأخلاط لتفسير المرض العقلي، ذاهبين إلى أن اختلال في التوازن بين تلك الأخلاط، واضطراب في الطاقات الأولية له تأثير سلبي في أفكار الشخص وعواطفه.(٣)

وعلى الرغم من ذلك ، لم يدَع الأطباء الأبقراطيون القول برد المرض العقلي إلى أسباب خارقة للطبيعة، أو ذات صلة بما وراء الطبيعة، وظلوا يشيرون هنا وهناك إلى تأثر الصحة العقلية بمواقع النجوم وأفلاك بعض الأجرام السماوية.(٤)

ما معنى الهوس ***Mania***؟

"furor" ، *"insania"* ، *"μανία"* ، كلمات استُخدمت جميعها بشكل عام لتعني(الجنون)(٥)،وغالبًا ما كانت لفظة الهوس "*Mania*" تحل محل لفظة الجنون والعكس، مما يعني أنها كانت مصطلحًا عامًا، يفهم منه ذلك المعنى العام للاضطراب العقلي(٦)، لا حالة الحالة المرضية المعروفة بعينها. لكن لا يفوتنا هنا أن ننوه بأن ما كان يعرف عندهم باسم الهوس والاكتئاب، يقابله في التشخيص الطبي المعاصر مصطلح الاضطراب ثنائي القطب.(٧)

والفعل "*μαίνομαι*" الذي تُشتق منه كلمة "*Mania*" أحد أكثر الأفعال شيوعًا للدلالة على الجنون. وغالبًا ما ارتبط هذا المعنى بكلمة "*μανία*" التي تعبر عن حالة من الارتباك الغاضب، أو السلوك واضح الغرابة، سواء في الأعمال الأدبية أم في النصوص الطبية.(٨)

(1) Bán, "Madness in Seneca's Medea and Celsus's De Medicina", pp 5-16. and in VivianNutton, *Ancient medicine*, (London: Routledge, 2004), p 79.
(2) VivianNutton, *Ancient medicine*, pp 64-5, and in Hippocrates. *On the Sacred Disease* 1, 1.
(3) Hippocrates. *On the Sacred Disease*, 17.
(4) Hippocrates. Regimen 4.89. and in Cilliers,and Retief, "Mental Illness inthe Greco-Roman Era", pp 130-7. and in Nutton, Vivian, *Ancient medicine*, pp 64-5.
(5) Murphy, "The Conceptualization and Treatments for Phrenitis, Mania and Melancholia in Aretaeus of Cappadocia and Caelius Aurelianus", pp 83-92.
(6) Cilliers, and Retief, "Mental Illness in the Greco-Roman Era", pp 130-7.
(7) "Bipolar disorder", *Mayo Clinic*, https://www.mayoclinic.org/diseases-conditions/bipolar-disorder/symptoms-causes/syc-20355955 (accessed June, 22, 2023)
(8) Murphy, "The Conceptualization and Treatments for Phrenitis, Mania and Melancholia in Aretaeus of Cappadocia and Caelius Aurelianus", pp 83-92.

ولم يكن ذلك الارتباك والاضطراب في استخدام "الهوس" *"Mania"* في الأدب اليوناني القديم وحده –فكان مصطلح "الهوس" فيه مستعملاً بالتبادل مع مصطلح "الجنون"– وإنما استمر هذا الخلط مئات السنين بعد ذلك، في الأوساط الطبية والفلسفية، بل واللاهوتية.(١)

وها هو أفلاطون –على سبيل المثال– يستخدم مصطلح "*Mania*" في كلامه عن الجنون من منظور فلسفي، عندما قال:

"εί μὲν γὰρ ἦν ἁπλοῦν τὸ μανίαν κακὸν εἶναι, καλῶς ἂν ἐλέγετο: νῦν δὲ τὰ μέγιστα τῶν ἀγαθῶν ἡμῖν γίγνεται διὰ μανίας, θείᾳ μέντοι δόσει διδομένης."[2]

"لو كان من الممكن أن نقول إن الجنون شر وكفي لما كانت هناك مشكلة. غير أن الواقع أن أعظم البركات التي تهدينا إياها الآلهة يسوقها إلينا الجنون."

وفي الإلياذة استخدم هوميروس الفعل (μαίνομαι) للتعبير عن (جنون المعركة)(٣)، وفي مسرحية هيراكليس استعان يوريبيديس بلفظة "*μανία*" في وصف الأوهام والغضب والجنون.(٤)

كما كان المؤلفون القدامى يستعينون بكلمة "الهوس" "Mania" عندما يريدون وصف حالة الغضب العارم التي قد تنتاب المرء أحيانًا فيفقد معها القدرة على إعمال المنطق، والتفكير المتزن، والتصرف المعتدل وتحل محل هذا كله نوبة من العنف أو الأوهام أو النشوة غير المبررة. وكانوا يؤكدون على أن هذا يظهر دون حُمَّى، بخلاف ما في حالات التهاب الدماغ.

استمر هذا التصور المتوارث للهوس *Mania* متداولاً في الأوساط الطبية القديمة لأكثر من ألفي عام(٥)، درج فيها معظم المؤلفين القدامى على تعريف الهوس بأنه حالة من الهذيان بدون حمى؛ لأن إصابة المريض بالحمى معناها أنه مصاب بالتهاب الدماغ. ذهب إلى هذا كلسوس وأرتايوس وكايليوس أوراليانوس(٦). لكن الجنون Insania –وفقًا لما يقول كلسوس– يتسم بأنه دائم "*Continua Dementia*"، يغوص المريض في أثنائه في بحار من الوهم والتصورات غير العقلانية "*Vanas Imagines*".(٧)

(1) Berrios, "Of Mania: introduction: Classic text no. 57", pp 105-24.
(2) Plato, *Phaedrus,* 244 A.
(3) Homer, *Iliad,* 5.185-6, and 8.360-1.
(4) Euripides, *Heracles*, 833-42, and 875-9.
(5) Berrios, "Of Mania: introduction: Classic text no. 57", pp 105-24.
(6) Murphy, "The Conceptualization and Treatments for Phrenitis, Mania and Melancholia in Aretaeus of Cappadocia and Caelius Aurelianus", pp 83-92.
(7) Celsus. *De Medicina*, 3, 18, 3., and in Bán, "Madness in Seneca's Medea and Celsus's De Medicina", pp 5-16.

هكذا بدأ مصطلحا الهوس *Mania* والجنون *Insania* مترادفين، ثم تطورا بشكل مطرد ليعني كل مصطلح منهما في النهاية شيئًا غير الذي يعنيه الآخر. حدث هذا في السياقين الطبي والفلسفي كليهما، مع أن المنظور الطبي يركز على الجوانب العضوية والوظيفية، في حين يهتم المنظور الفلسفي بالجوانب الأخلاقية.(١)

أما تطور تسميات الاضطراب ثنائي القطب، منذ كان ضمن مصطلح "insanity" العام، إلى "مرض الهوس الاكتئابي" "manic–depressive illness"، فاستغرق مئات السنين، حتى يمكن أن يُقال إنه أحدث أشكال الأمراض العقلية المعروفة للإنسان، كما أنه أقدمها، كما سنعرف من سياق البحث؛ ذلك أنه على الرغم من حداثة المصطلح، فإن وصف أعراضه موجود في الكتابات القديمة.(٢)

ما الاضطراب ثنائي القطب؟(٣)

الاضطراب ثنائي القطب هو حالة مرضية تلازم المرء مدى الحياة، وتتميز بتقلبات مزاجية حادة، ما بين الابتهاج المبالغ فيه (الهوس *Mania* والهوس الخفيف *Hypomania*) والاكتئاب. وتكمن خطورة تلك التقلبات المزاجية في تأثيرها الشديد في سلوك الفرد وحكمه على الأمور. ولها أسباب عدة، منها أسباب وراثية ونفسية واجتماعية. وفي الطب الحديث غالبًا ما تكون هناك حاجة لخطة علاج باستخدام الأدوية وجلسات العلاج النفسي لمن يعاني من هذا الاضطراب.

(1) Bán, "Madness in Seneca's Medea and Celsus's De Medicina", pp 5-16.

(2) Ayşegül Yildiz, Pedro Ruiz, and Charles Nemeroff, *The Bipolar Book: History, Neurobiology, And Treatment*, (Oxford: Oxford University Press, 2015), pp 3- 13.

(3) "Bipolar disorder", *Mayo Clinic*, https://www.mayoclinic.org/diseases-conditions/bipolar-disorder/symptoms-causes/syc-20355955 (accessed June, 22, 2023)

"Bipolar disorder", NHS, https://www.nhs.uk/mental-health/conditions/bipolar-disorder/symptoms/ (accessed June, 22, 2023)

"Bipolar and Related Disorders", in *Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders: DSM-5*, 5th ed. (Washington DC: American Psychiatric Association, 2013), pp ١٢٣-54.

Mark Dailey, and Abdolreza Saadabadi, *Mania*. [Updated 2022 Jul 19]. In: StatPearls [Internet]. (Treasure Island (FL): StatPearls Publishing, 2023), https://www.ncbi.nlm.nih.gov/books/NBK493168/ (accessed June, 22, 2023)

ومنذ أوائل القرن العشرين، حتى عام ١٩٨٠، كان يطلق عليه اسم "الجنون الاكتئابي الهوسي"، الذي اقترحه إميل كريبلين في كتاب له. وظل هذا الاسم مستخدمًا حتى غيّرته الجمعية الأمريكية للطب النفسي في الدليل التشخيصي والإحصائي الثالث للاضطرابات العقلية (DSM–III) ليصبح "الاضطراب ثنائي القطب".(١)

نوبات الهوس Mania والهوس الخفيف Hypomania في الاضطراب ثنائي القطب:(٢)

الهوس *Mania* عبارة عن نوبات من الحالة المزاجية غير الطبيعية، من الابتهاج أو الانفعال، تستمر لمدة أسبوع واحد متصل (أو أكثر)، وتستدعي شدة النوبة أحيانًا إدخال المريض المستشفى، بغض النظر عن مدة النوبة؛ فالفيصل في هذا الأمر السمات الذهانية، كالأوهام والهلاوس، ومحاولات الإيذاء (مثل الانتحار، والاعتداء على الآخرين، وإتلاف الممتلكات).

من ناحية أخرى، يُعرف الهوس الخفيف *Hypomania*، بأنه تغير فى المزاج لمدة أربعة أيام متتالية، دون أن يكون له تأثير كبير في وظائف الفرد، سواء على الصعيد الاجتماعي أم المهني.

ولنوبات الهوس والهوس الخفيف الصورة نفسها بشكل عام، لكن نوبات الهوس *Manai* تمثل مشكلة أكبر وغالبًا ما تتطلب إدخال المريض المستشفى، عندما تكون مصحوبة بأعراض ذهانية صريحة.

ويتم تشخيص نوبات الهوس والهوس الخفيف في ضوء ثلاثة أو أكثر من المعايير الآتية:

- شعور زائف بالعظمة (المبالغة في تقدير الذات)، مع الأوهام والهلاوس و/ أو التفكير غير المنطقي.
- فرط النشاط (بحيث يكون الشخص نشيطًا و/ أوفى حالة هياج).
- المبالغة في الشعور بالبهجة والنشوة.
- فرط النوم.
- الثرثرة، وسرعة في الكلام.
- تلاحق الأفكار.
- التشتت (الانتباه إلى محفزات خارجية غير مهمة أو غير ذات صلة).
- ضعف القدرة على اتخاذ القرار (وفعل ما تُحمد عقباه).
- زيادة التصرفات غير الهادفة.
- الأوهام والهلاوس والتفكير غير المنطقي.

(1) Ibid,and in Yildiz, Ruiz, and Nemeroff, *The Bipolar Book: History, Neurobiology, And Treatment*, pp 3- 13. Angela Nelson, and Smitha Bhandari, "The History of Bipolar Disorder", *WebMd*, https://www.webmd.com/bipolar-disorder/history-bipolar (accessed June, 22, 2023)

(2) Ibid.

نوبات الاكتئاب الحاد[١]

تؤثر أعراض هذه النوبات بشكل كبير في الحياة اليومية لمن يعاني منها، فتؤثر بالسلب في عمله أو حياته الاجتماعية وعلاقاته الأسرية. وتظهر عليه خمسة أو أكثر من الأعراض الآتية:

- الاكتئاب، والحزن، والإحساس بالخواء، أو باليأس، أو الرغبة في البكاء، وسرعة الغضب.
- Anhedonia: ومعناها فقدان الشغف، والاهتمام، والالتذاذ بالأشياء التي كان الشخص يراها ممتعة من قبل.
- تغيرات في الوزن (بخسارة الوزن أو زيادته)، وتغيرات في الشهية.
- تغير في نمط النوم (بالأرق أو فرط النوم).
- تغيرات في السلوك (قلق أو كسل).
- التعب والإجهاد.
- الشعور بانعدام القيمة أو الشعور بالذنب.
- قلة التركيز وكثرة التردد.
- أفكار انتحارية و/ أو محاولات للانتحار.

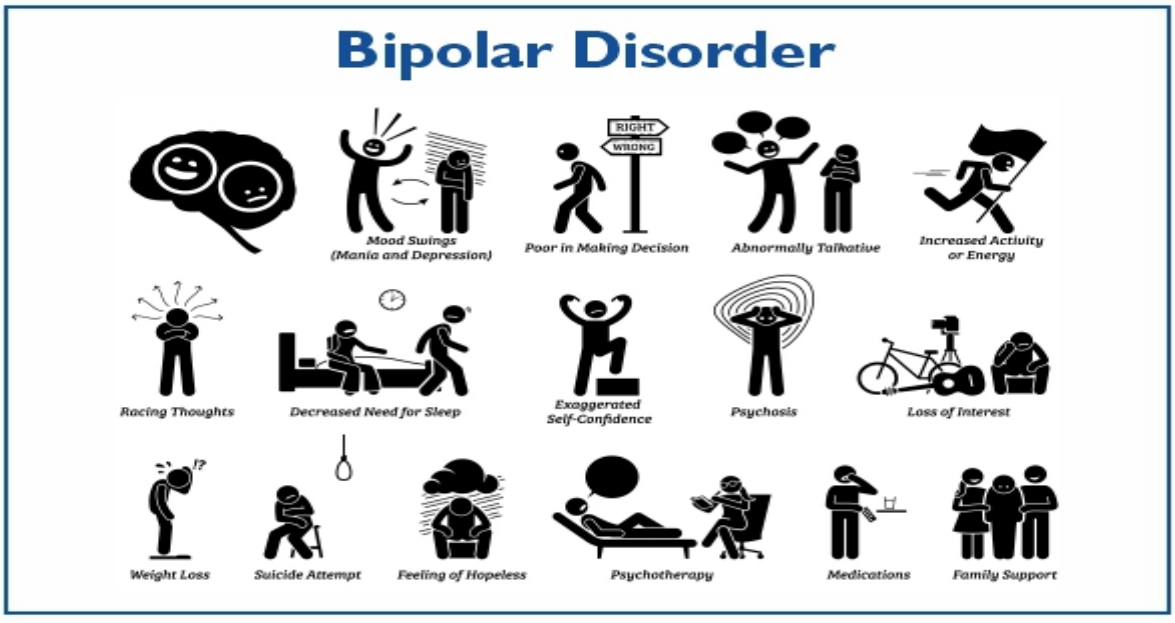

رسم يوضح أعراض الاضطراب ثنائي القطب.[٢]

(1) Ibid.
(2) Image: Srinivas Kandrakonda, "Bipolar Disorder", https://www.medicoverhospitals.in/diseases/bipolar-disorder/#:~:text=Bipolar%20disorder%20is%20also%20known,or%20pleasure%20in%20most%20activities.(accessed June, 22, 2023)

أنواع الاضطراب ثنائي القطب:[١]

لا يزال الجدل محتدمًا حول توصيف الاضطراب ثنائي القطب وتصنيفه أنواعًا، لكن الأنواع المتفق عليها بشكل عام، هي:

- الاضطراب ثنائي القطب من النوع الأول: وفيه يعاني المريض من نوبة هوس واحدة على الأقل، تكون إما مسبوقة وإما متبوعة بنوبة هوس خفيف أو نوبة اكتئاب شديدة. يمكن أن تكون نوبات هذا النوع من الاضطراب ثنائي القطب حادة وخطيرة على حد سواء، إلى درجة تهديد حياة المريض أو حيوات من حوله.
- الاضطراب ثنائي القطب من النوع الثاني: وفيه يعاني المريض من نوبة اكتئاب كبرى واحدة على الأقل ونوبة هوس خفيف واحدة على الأقل. لكن لا تنتابه نوبة هوس *Mania* أبدًا، وبدلاً منها غالبًا ما يعاني من فترات طويلة من الاكتئاب.
- اضطراب دورية المزاج **Cyclothymic**: ويعاني المريض فيه بشكل طفيف لمدة عامين، من فترات متعددة من الهوس الخفيف والاكتئاب.
- أنواع أخرى: الاضطرابات ثنائية القطب الناجمة عن تعاطي مواد معينة، تشمل بعض الأدوية، مثل الأمفيتامين، أو الكوكايين، أو إدمان الكحول، وبعض الحالات المرضية، مثل مرض كوشينغ Cushing's disease والسكتة الدماغية brain stroke.

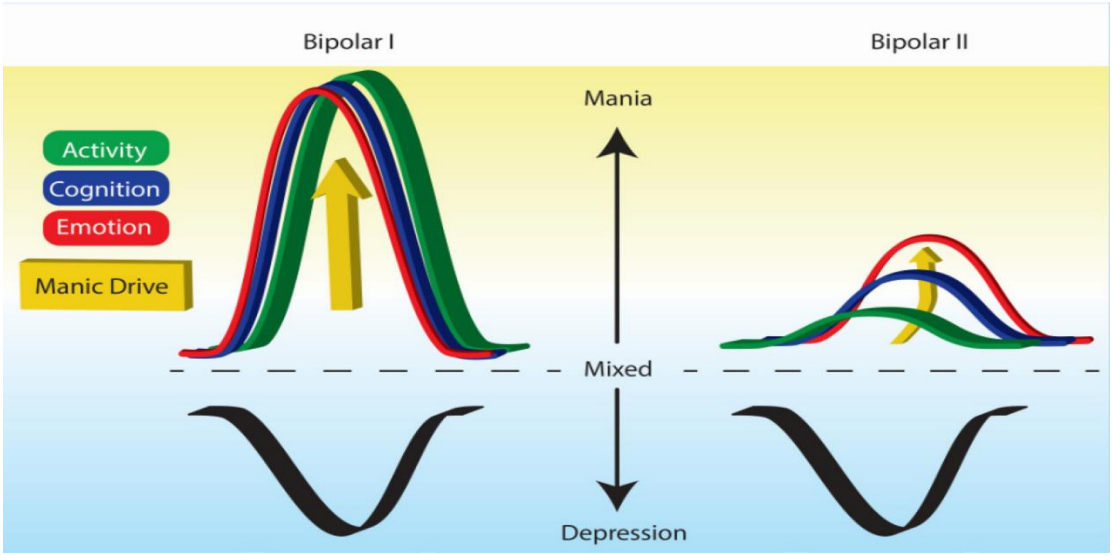

نموذج تخطيطي للنشاط في نوبات الهوس والهوس الخفيف.[٢]

(1) "Bipolar disorder", *Mayo Clinic*.
"Bipolar and Related Disorders", in *Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders: DSM-5*, pp 123-54.
(2) Michael Gitlin, and Gin Malhi, "The existential crisis of bipolar II disorder", *International Journal of Bipolar Disorder* 8, no. 5, (2020). https://doi.org/10.1186/s40345-019-0175-7 (accessed June, 22, 2023)

والمعتاد أن تكون أنماط الاكتئاب والهوس في الاضطراب ثنائي القطب،عادة ما تكون غير متسقة،لكنها يمكن أن تكون:[1]

• **سريعة:** يتأرجح فيها المريض بسرعة بين الهوس والاكتئاب.

• **مختلطة:** وفيها تظهر على المريض أعراض الاكتئاب والهوس في وقت واحد، فتراه نشطًا نشاطًا مفرطًا ومكتئبًا في آن واحد مثلاً.

الهوس في أعمال أبقراط:

يظهرمن الكتابات الأبقراطية أن الهوس ماثل عند الكلام عن عدد من الأعراض؛ ففيه أحيانًا إشارة إلى مرض عضوى، أحيانًا يعبر عن مرض عصبي، لكن تلك الأعراض لم تتبلور في مصطلح نفسي صرف، بل سيقت للدلالة على الحالة الذهنية لمريض ما بغض النظر عن نوع مرضه بالتحديد.

ومن أمثلة ما جاء في هذا الصدد من نصوص، ما يأتي:

“τὰ περὶ κεφαλὴν καὶ τράχηλον ἀλγήματα καὶ βάρεα μετ’ ὀδύνης ἄνευ πυρετῶν καὶ ἐν πυρετοῖσι: φρενιτικοῖσι μὲν σπασμοί, καὶ ἰώδεα ἐπανεμεῦσιν, ἔνιοι ταχυθάνατοι τούτων. ἐν καύσοισι δὲ καὶ τοῖς ἄλλοις πυρετοῖς, οἷσι μὲν τραχήλου πόνος καὶ κροτάφων βάρος καὶ σκοτώδεα περὶ τὰς ὄψιας καὶ ὑποχονδρίου σύντασις οὐ μετ’ ὀδύνης γίνεται, τούτοισιν αἱμορραγεῖ διὰ ῥινῶν: οἷσι δὲ βάρεα μὲν ὅλης τῆς κεφαλῆς, καρδιωγμοὶ δὲ καὶ ἀσώδεές εἰσιν, ἐπανεμέουσιν χολώδεα καὶ φλεγματώδεα. τὸ πολὺ δὲ παιδίοισιν ἐν τοῖσι τοιούτοισιν οἱ σπασμοὶ μάλιστα, γυναιξὶ δὲ καὶ ταῦτα καὶ ἀπὸ ὑστερέων πόνοι, πρεσβυτέροισι δὲ καὶ ὅσοις ἤδη τὸ θερμὸν κρατεῖται, παραπληγικὰ ἢ **μανικὰ** ἢ στερήσιες ὀφθαλμῶν.”[2]

"آلام في الرقبة، وآلام في الرأس مع شعور بثقله، إما مع حمى أو بدونها. وتشنجات تنتاب الذين يتعرضون لنوبات هياج، وقيء من الصفراء الخضراء الزنجارية، التي سريعًا ما تقتل صاحبها في بعض الحالات. ومع أنواع الحمى الشديدة المصحوبة بألم في الرقبة، وثقل في الصدغين، وضبابية العينين، وانتفاخ منطقة المراق– ومع عدم العلاج بالألم – يحدث رعاف (نزيف من الأنف). وأولئك الذين يحسون بثقل في الرأس كله، وآلام في القلب، وغثيان، وقيء صفراوي –لا سيما الأطفال–،

(1) “Bipolar disorder”, NHS.uk.
(2) Hippocrates, *Epidemics* I, 12.

يتعرضون عمومًا لنوبات من التشنج. والنساء يعانين من هذا إضافة إلى آلام في الرحم، بينما عند كبار السن، وأولئك الذين درجة حرارتهم أقل نوعًا ما، تنتهي تلك الأعراض عندهم إلى الشلل، والهوس، والعمى."

والهوس فى سياق الوصف السابق يشير إلى نوع من العجز القصور الناجم عن الحمى، بحيث يتطابق ما يصفه لنا من أعراض في بعض أجزاء النص، مع ما يُسمَّى الآن التهاب السحايا.

وفي بعض الأحيان يستخدم المؤلف الأبوقراطى كلمة *Mania* للإشارة إلى نوبات من التشنجات والهياج، كما في قوله:

"Ὀδόντας συνερείδειν ἢ πρίειν, ᾧ μὴ σύνηθες ἐκ παιδίου, μανικὸν καὶ θανάσιμον· ἢν δὲ παραφρονέων ποιέῃ τοῦτο, παντελῶς ὀλέθριον· ὀλέθριον δὲ καὶ ξηραίνεσθαι τοὺς ὀδόντας."[1]

"الجزّ على الأسنان –بالنسبة لشخص لم تكن لديه هذه الإحدى عاداته منذ الطفولة– علامة على الهوس والموت، وإذا قام شخص مختل بذلك، فهذا نذير شؤم للغاية. وجفاف الأسنان أيضًا علامة قاتلة."

من النص السابق يتضح كيف يُذكر الهوس "*Mania*" في سياق الكلام عن النوبات، وهذا يعني أن مصطلح الهوس، كان عند اليونانيين القدماء، كان بمثابة المظلة العريضة التي تحتها كثير من الأعراض العصبية والنفسية.

وفي نص أبقراطي آخر نقرأ:

"Ὁπόταν ξυντεταμένος τὰς χεῖρας καὶ τοὺς πόδας, μανίην ἐμποιέουσιν."(2)

"عندما يعاني الإنسان من تشنجات في ذراعيه وساقيه، فإن ذلك يثير الهوس."

وهنا يوظف مصطلح الهوس مرة أخرى فى تشخيص الحالة النفسية والجسدية بعد حدوث التشنجات أو نوبات صرع.

وفي بعض الأحيان، تدمج الكلمة في سياق الحديث عن الجوانب العصبية، لكن أيضًا التشخيص الدقيق يظل بعيد المنال، ومن هنا يأتي الارتباك الذي يصاب به القارئ للنصوص؛ ففي نص آخر نجد المؤلف يقول:

(1) Hippocrates, *Coan Prenotions*, 230.
(2) Hippocrates, *Crises*, 63.

“Τὰ ἐξ ἐμέτων ἀσώδεα, κλαγγώδεα, ὄμματα ἐπίχνουν ἴσχοντα, μανικά· ὀξέως μανέντες θνῄσκουσιν ἄφωνοι.”[1]

"إذا حدث بعد القيء غثيان، وكان الصوت صاخبًا، وظهرعلى العينين غطاء كالصوف، فهذا يعلن عن الهوس، الذي تستبد بالمرضى به نوبات من الغضب العنيف، ويموتون بعد أن يفقدوا أصواتهم." يتماشى هذا الوصف مع معنى الغضب الخارج عن السيطرة. وهو هنا عرض من أعراض مرض عضوى. أما وفاة هذا المريض الذي حدثنا عنه، فكانت –على الأرجح– بسبب المرض الرئيس أو بسبب الجفاف، لكنه ليس بسبب الهوس.

وفى مثال آخر نقرأ قوله:

“Ὁκόσοι τῇ γλώσσῃ παφλάζουσι τῶν χειλέων μὴ κρατέοντες, ἐὰν ταῦτα παύσηται, ἔμπυοι γίνονται, ἢ ὀδύνη ἰσχυρὴ ἐν τοῖς κάτω χωρίοις λύει, ἢ κυφότης, ἢ αἷμα πολὺ ἐκ τῶν ῥινῶν ῥυέν, ἢ μανίη.”[2]

"الذين يتلعثمون ويفقدون السيطرة على شفاههم – إذا توقف هذا، فإنهم يتقيّحون داخليًا، أو يحررهم الألم الشديد في المناطق السفلية، أو تنمو لهم حدبات، أو يتدفق الدم غزيرًا من فتحات أنوفهم، أو يستبد بهم الهوس."

ويبدو أن هذه الأعراض الموصوفة لأكثر من مرض واحد، وهذا ممكن، لكن ليس في الوقت نفسه، كأعراض التهاب الدماغ encephalitis والسل الدخني Miliary Tubercluosis. حيث يقول المؤلف الأبقراطي:

“Ὅσοι μαίνονται ἢ αὐτόματοι <ἢ> ἀπαλλασσόμενοι ἐκ τῶν νούσων, τούτοις τὴν μανίην ὀδύνη ἐς τοὺς πόδας εἰσελθοῦσα ἢ ἐς στῆθος, ἢ βὴξ ἰσχυρὴ γενομένη λύει· ἐὰν δὲ τούτων μηδὲν γένηται, λυομένης τῆς μανίης, στέρησις τοῦ ὀφθαλμοῦ γίνεται.”(3)

"عند الذين يصابون بالهوس إما بشكل تلقائي وإما ولدوا به، فإن الألم في الأطراف السفلية أو الصدر، أو السعال عنيف يؤدي إلى خلاص المريض من الهوس. وإذا لم يحدث أي من هذه الأشياء، وشُفِي المريض من الهوس، فسيفقد بصره على الأرجح."

(1) Hippocrates, *Coan Prenotions*, 550.
(2) Hippocrates, *Crises*, 43.
(3) Hippocrates, *Crises*, 42.

هنا يشير مصطلح الهوس إلى الهياج. وتكهُّن الكاتب بالعمى الوشيك للمصاب، يُشير –مع السعال والهياج والعمى– إلى وجود مشكلة عضوية، مثل التهاب سحايا المخ Meningitis، أو الجلطات الدموية Thromboembolism.

ومما يسترعي الانتباه كيف كان ذلك الطبيب الأبقراطي يؤمن بالصلة بين الجهاز الهضمي والصحة العقلية للشخص، وهذا ما برهنت عليه دراسات حديثة، أثبتت أن الميكروبات الموجودة في الجهاز الهضمي لها عادة تأثير ملموس في امتصاص الجسم بعض الأطعمة والأدوية، وهذا يؤثر –بشكل مباشر أو غير مباشر– في الصحة النفسية للفرد.(١)

وفي العمل الأبقراطي المعروف باسم "Aphorisms"، يقول:

"Τοῖσι μαινομένοισι κιρσῶν ἢ αἱμορροΐδων ἐπιγινομένων, μανίης λύσις."(2)

"في غمرة الهياج، إذا ظهرت دوالٍ أو بواسير، فإنها تزيل الهوس."

وفي موضع آخر من المجموعة الأبقراطية؛ نجد المؤلف الأبقراطي يعطينا مثالًا على الربط بين حركة الأمعاء والصحة العقلية كالتالي:

"Οἶσιν ἐπὶ φλογώδεσι καὶ ἐξερύθροις λυομένοις δυσῶδες, λάβρον, ὑπέρυθρον, ἐλπὶς ἐκμανῆναι."(3)

و"عند المرضى الذين تحول برازهم من لونه المعروف إلى اللون الأحمر القاني ذي الرائحة الكريهة مع الإسهال، قد تكون هذه إشارات إلى الهوس."

هذه أمثلة جميعها تدل على الربط بين حركة الأمعاء والصحة العقلية، كما توضح تأثير نظرية الأخلاط في طرق التشخيص والتنبؤ بالأمراض.

فى حين أنه فى سياق آخر استخدم مصطلح الهوس فى سياق الكلام عن المرض النفسي، مع شرح يتطابق مع أعراض الاضطراب ثنائي القطب، وذلك حين يقول:

"**Φρενῖτις** δ' οὕτως ἔχει· τὸ αἷμα ἐν τῷ ἀνθρώπῳ πλεῖστον συμβάλλεται μέρος συνέσιος· ἔνιοι δὲ λέγουσι τὸ πᾶν· ὅταν οὖν χολὴ κινηθεῖσα ἐς τὰς φλέβας καὶ ἐς τὸ αἷμα ἐσέλθῃ, δι' οὗν ἐκίνησε καὶ διώρρωσε τὸ αἷμα ἐκ τῆς ἐωθυίης συστάσιός τε καὶ κινήσιος, καὶ διεθέρμηνε· διαθερμαίνει δὲ108 καὶ τὸ ἄλλο σῶμα πᾶν, καὶ παρανοέει τε ὥνθρωπος καὶ οὐκ ἐν

(1) Ian Miller, "The Gut–Brain Axis: Historical Reflections," *Microbial Ecology in Health and Disease* 29, no. 2 (2018), pp 1–9, at 2, https://doi.org/10.1080/16512235.2018.1542921.
(2) Hippocrates, *Aphorisms*, VI, XXI.
(3) Hippocrates, *Coan Prenotions*, 614.

ἑωυτῷ ἐστιν ὑπὸ τοῦ πυρετοῦ τοῦ πλήθεος καὶ τοῦ αἵματος τῆς διορρώσιός τε καὶ κινήσιος γενομένης οὐ τῆς ἐωθυίης.

Προσεοίκασι δὲ μάλιστα οἱ ὑπὸ τῆς **φρενίτιδος** ἐχόμενοι τοῖσι **μελαγχολώδεσι** κατὰ τὴν παράνοιαν· οἵ τε γὰρ **μελαγχολώδεις**, ὅταν φθαρῇ τὸ αἷμα ὑπὸ χολῆς καὶ φλέγματος, τὴν νοῦσον ἴσχουσι καὶ παράνοοι γίνονται, ἔνιοι δὲ καὶ μαίνονται· καὶ ἐν τῇ **φρενίτιδι** ὡσαύτως· οὕτω δὲ ἧσσον ἡ **μανίη** τε καὶ ἡ **παραφρόνησις** γίνεται, ὅσῳπερ ἡ χολὴ τῆς χολῆς ἀσθενεστέρη ἐστίν."[1]

"يحدث التهاب الدماغ كما يأتي: يسهم الدم بالنصيب الأوفى من ذكاء الإنسان –وقيل إن مرده كله إليه–لذلك، عندما تثور الصفراء، وتندفع إلى الأوعية الدموية، وتخالط الدم، فإنها تثيره، وتسخنه، وتحوله إلى مصل، وتغير تناسقه وحركته الطبيعية، فيسخن الجسم كله بسخونته، وتنتاب الإنسان حمى شديدة، ويفقد رشده فلا يعود الشخص نفسه.والمصابون بالتهاب الدماغ يشعرون ببعض هذا، كالمصابين بالاكتئاب؛ بسبب تعكر مزاجهم، واختلاط دمائهم بالصفراء والبلغم، وبعضهم يثور، إلا أن غضبه واضطرابه يكون أقل؛ لأن نسبة الصفراء في حالتهم أضعف مما هي عليه في الحالات الأخرى."

واستند أبقراط إلى نظرية الأخلاط الأربعة في تفسيره سر الهوس والكآبة وكلامه عنهما. وكلامه محتمل للإشارة إلى أنواع عدة من الأمراض العقلية، إلا أن الجمع بين الهوس والإكتئاب قد يشير إلى وصف الاضطراب ثنائي القطب. استخدم المؤلف كلمات " *μανίη τε καὶ ἡ παραφρόνησις*" للتعبير عن معنى الغضب والاختلال، وهما من الأعراض المعروفة لنوبات الهوس فى الاضطراب ثنائي القطب.

(1) Hippocrates, *Diseases* I, 30.

الهوس في موسوعة كلسوس (عن الطب):

عند كلسوس جاء لفظ "*insania*" ليحمل ثلاثة معانٍ، وقد تكلم عن الاضطراب ثنائي القطب بوضوح عندما ناقش مسألة الهلوسة والسلوك الأخرق، بحيث يمكن أن يدرك القارئ المتخصص بعض التخصص أن تلك أوصاف الاضطراب ثنائي القطب. و من كلمات كلسوس تلك، يبدو واضحًا أنه أدرك أن الهوس والكآبة مرض مزمن، ويجب متابعة المريض بهما بانتظام.(١)

وعلى الرغم من أن كلسوس لم يذكر اسم الهوس *Mania* صراحة وتحديدًا، فإن الصورة التي رسمها للمريض، والأوصاف التي ذكرها للمرض، تنطبق عليها معايير الهوس، أو ما يعرف الآن باسم الاضطراب ثنائي القطب؛ إذ هو حالة mania تستمر مدى الحياة. إنه الجنون غير المصحوب بالحمى الذي حدثنا عنه، إلا أنه يستمر مدة أطول، فمن الراجح أنه الاضطراب ثنائي القطب.(٢)

ووصف كلسوس اللاعقلانية، والسلوك المضطرب، والافتقار إلى الوعي الذاتي، أو ضبط النفس الذي غالبًا ما ينتاب المريض العقلي.(٣) وشرح كيف يعاني بعض المرضى من الهلوسة، بينما يتصرف آخرون بطريقة مشوشة.(٤) وهذه كلها في رأيه من سمات الـ "*insania*"، الذي هو حالة من الجنون الدائم، التي يتوهم فيها المريض أشياء، وتنتابه تهيؤات غير عقلانية.(٥)

وفي هذا السياق، ذهب كلسوس إلى أن كلاً من أوريستيس وأجاكس كانا يعانيان مما نسميه الآن الهلاوس المرضية، الدالة على ضرب من الجنون أو المرض العقلي(٦)، وإن لم يعانيا من الاضطراب ثنائي القطب.

ويقول كلسوس –في إطار كلامه عن الهلاوس والمرض العقلي–:

"Si imagines fallunt, ante omnia videndum est, tristes an hilares sint."(٧)

"إذا ضلَّلت الأوهام، فعلينا أن نلاحظ ما إذا كان جميع (المرضى) مكتئبين أم مرحين."

والمرح المذكور هنا هو – بلا شك – نوبة الهوس المميزة للاضطراب ثنائي القطب.

كما وصف كلسوس كيف التقلبات المزاجية للمريض، وكيف يتحول من الضحك إلى الكآبة والعكس دون سبب واضح.(٨) وهذا أيضًا من المعايير الرئيسة عند تمييز الاضطراب ثنائي القطب. وأوضح كلسوس أن المريض قد يخلط أحيانًا، فتكون له تصرفات عقلانية وأخرى لا عقلانية، وحذر من أن

(1) Celsus. *De Medicina*, 3, 18, and in Murphy, "The Conceptualization and Treatments for Phrenitis, Mania and Melancholia in Aretaeus of Cappadocia and Caelius Aurelianus", pp 83-92.
(2) Bán, "Madness in Seneca's Medea and Celsus's De Medicina", pp 5-16.
(3) Ibid.
(4) Ibid.
(5) Ibid, and in Celsus. *De Medicina*, 3, 18, 3.
(6) Celsus. *De Medicina*, 3, 18, 19.
(7) Ibid., 3, 18, 20.
(8) Celsus, De Medicina, 3, 18, 20.

المجنون قد يعاني من الهياج، ويتصرف بخرق. غير أنه يبدوعاقلاً ومتزناً عندما يتوسل إليك أن تزيل "أغلاله"، أي أنه كذاب بامتياز، وعلى الطبيب ومساعديه ألا يصدقوه:

"Neque credendum est, si vinctus aliqui, dum levari vinculis cupit, quamvis prudenter et misera-biliter loquitur, quoniam is dolus insanientis est... speciem sanitatis in captandis malorum operum occasionibus praebent, sed exitu deprenduntur."(1)

"لا يمكن الوثوق بأي شخص مُقيد بتلك الطريقة، على الرغم من التحدث بعقلانية طلبًا للشفقة، عندما يريد إزالة تلك القيود، لأن هذه هي خدعة المختل عقليًا... ويظهر عليهم المظهر العقلاني التام بينما ينتهزون الفرصة لإحداث الأذى، لكن يتم اكتشافهم نتيجة أفعالهم."

ومع ذلك، شدد كلسوس على أن حديث هؤلاء المرضى غير منطقي وأن المريض لم يعان من الحمى:

"interdum in accessione aegros desipere et loqui aliena."(2)

"في بعض الأحيان، خلال نوبة الحمى، يعاني المريض من الهذيان والكلام غير المفهوم."

كما أن قوله:

"Neque ignorare oportet leviorem esse morbum cum risu quam cum serio insanientium."(3)

"من المعروف أن مريض الخلل العقلي من النوع المبتهج (الضاحك) أقل خطورة ممن يعانون من الكآبة."

لا يصف به الاضطراب ثنائي القطب وحسب، بل يناقش حقيقة أثبتها الطب الحديث، هي أن نوبات الاكتئاب في الاضطراب ثنائي القطب، أخطر والمصاب بها أقرب إلى محاولة الانتحار ممن يعاني نوبات الهوس.(٤)

ورأى كلسوس أن العلاج يجب أن يتم تكييفه وفقًا لحالة كل مريض على حدة(٥)، وحذربشدة من التعميم في العلاج، ونبه إلى وجوب مراعاة الفروق بين الناس:

(1) Ibid., 3, 18, 3–5.
(2) Ibid., 3, 18, 2.
(3) Ibid., 3, 18, 20.
(4) Jess Fiedorowicz, et al. "Depressive symptoms carry an increased risk for suicidal ideation and behavior in bipolar disorder without any additional contribution of mixed symptoms." *Journal of affective disorders* vol. 246 (2019): pp 775-82. doi:10.1016/j.jad.2018.12.057
(5) Celsus. *De Medicina*, 3, 18, 10.

“removendi terrores, et potius bona spes offerenda; quaerenda delectatio ex fabulis ludisque, maxime quibus capi sanus adsuerat; laudanda.”[1]

"يجب استبعاد أسباب الخوف ومنح الأمل بدلًا من إغفاله مع الترفيه من خلال القصص والألعاب، لا سيما تلك التي لا ينجذب إليها المريض وهو عاقل، ويجب الثناء على عمل المريض إن وُجد."

وركز كلسوس في العلاج على الجوانب الجسدية، إلى جانب تغيير بيئة المريض، مع استخدام القيود بل الجلد أحيانًا، وأن يمارس المريض الرياضة البدنية المرهقة في أحيان أُخرى. وتعديل النظام الغذائي، أو التجويع أحيانًا، والحجامة (فصد الدم) في بعض الحالات. وعلى عكس ما يدعيه بعض الباحثين على العلاج النفسي في العصور القديمة، أكد كلسوس أهمية الحوار المباشر مع المريض العقلى.[٢]

وبالنسبة للعقاقير، نصح كلسوس بتطهير الأمعاء باستخدام نبات الخربق *Hellebore* لتقليل حدة الأعراض المرضية:

“In tristitia nigrum veratrum deiectionis causa, in hilaritate album ad vomitum excitandum dari debet”[3]

"بالنسبة للاكتئاب يجب إعطاء نبات الخربق الأسود كمطهر، بينما يجب إعطاء نبات الخربق الأبيض كمقيئ."

ومعلوم أن استخدام نبات الخربق Hellebore كان جزءًا أصيلاً من علاج الأمراض العقلية عبر التاريخ ، حتى انصرف عنه الأطباء في القرنين الماضيين.[٤] ومن الغريب أن الدراسات الحديثة تشير إلى أن لاستخدام الأدوية الملينة للأمعاء مزاياه، وأن الميكروبات الموجودة في الجهاز الهضمي لها دور في إنتاج مادة السيروتونين seretonin، وهو أحد أهم الناقلات العصبية في الجسم.[٥] كما تؤثر تلك الميكروبات نفسها في امتصاص بعض الأدوية، وهذا قد يؤثر–بشكل مباشر أوغير مباشر– في الصحة العقلية.[٦]

وهذا يعني أن إصرارالطبيب القديم على استخدام الملينات المعوية ومسببات القيء في العلاج، كان له ما يبرره، وأنه كان محقًّا في طموحه إلى أن تحسن تلك العلاجات حالة مريضه. وعلى الرغم من

(1) Ibid., 3, 18, 18.
(2) Ibid., 3, 18, 18.
(3) Ibid., 3, 18, 20.
(4) Michael Walkden, ““That They May Vomit Out Their Folly”: The Gut-Mind Axis and Hellebore in Early Modern England”, *Journal of British Studies* 61 (2022), pp 535–62. doi:10.1017/jbr.2021.189
(5) Doe-Young Kim, and Michael Camilleri, “Serotonin: A Mediator of the Brain-Gut Connection”, *American Journal of Gastroenterology* 95, no. 10 (2000), pp 2698–709.
(6) Miller, “The Gut–Brain Axis: Historical Reflections,” pp 1–9.

أن استخدام الخربق hellebore كان محفوفًا بالمخاطر على الأرجح، فإنه كان يمثل شكلاً من أشكال السعي لمساعدة المرضى على أية حال.(١)

هذا، وقد نبَّه كلسوس إلى أهمية إعادة بناء ضبط المريض لنفسه في حالات الجنون *insania*. وكان هذا منه بمثابة أحد أسس العلاج النفسي فى العصور القديمة. كما لفت الأنظار ألى أن تحسين انتباه المريض وتركيزه، بتمرينه على الحفظ يمكن أن يؤدي في النهاية إلى الشفاء التدريجي من نوبات التوهم:

"Cogendus est et attendere et ediscere aliquid et meminisse: sic enim fiet, ut paulatim metu cogatur considerare quid faciat."(2)

"يجب إجباره على تركيز انتباهه وتعلم شيء ما وحفظه، لأنه هكذا سيضطره الخوف شيئًا فشيئًا إلى التفكير فيما يفعله."

هل ناقش مؤلفون آخرون الاضطراب ثنائي القطب؟

نعم؛ فالمصطلحات الدالة على الأمراض العقلية –ومنها الهوس mania– عند سورانوس الأفسوسي Soranus' of Ephesus يقابلها –في كثير من الأحيان– ما نعرفه الآن بالاضطراب ثنائي القطب، الذي لا تصحبه حُمَّى، وقد يتورط المصاب به في أنشطة غير مسئولة، ترتبط بالسُكر أو الجنس في يوم، ثم قد يبدو هذا الشخص نفسه مرهقًا ومكتئبًا في يوم آخر، وأحيانًا يهلوس ويبدو عليه رعب غير عقلاني وغير مبرر.(٣) ومثل هذه الحالة من السلوك غير المتسق والعواطف غير اللائقة ولا المبررة بادية في كثير من الاضطرابات العقلية –كالفصام مثلاً– إلا أنها أشد وضوحًا بلا شك في حالة الاضطراب ثنائي القطب.(٤)

ويبدو أن الاضطراب ثنائي القطب في العصور القديمة لم يكن يلفت الانتباه، ويذكره الأطباء في كتبهم إلا إذا بدت على صاحبه أعراض الاكتئاب الحاد، أويأتى أفعالًا غير منطقية ولا متسقة، أويظهرغضبًا جامحًا أو ثورة عارمة، أو هلوسة واضحة. والراجح أن سورانوس –شأنه شأن معظم المؤلفين القدامى– لم يدرك أنه اضطراب عقلى واحد،بل اضطرابين مختلفين.(٥)

(1)Kishor Kumar, and K G Lalitha. "Pharmacognostical and Phytochemical Studies of Helleborus niger L Root", *Ancient science of life* 36, no. 3 (2017), pp151-8. doi:10.4103/asl.ASL_57_16

(2) Celsus. *De Medicina*, 3, 18, 21.

(3) Cael. Aur. Chron. 5.144-63.

(4) Cilliers,and Retief, "Mental Illness inthe Greco-Roman Era", pp 130-7.

(5) Glenda Mcdonald, "Mapping Madness: Two Medical Responses to Insanity in Later Antiquity", in *Mania: Madness in the Greco-RomanWorld*, ed. Philip Bosman, (Pretoria: Acta Classica Supplementum III, Classical Association of South Africa, 2009), p 106-26.

وركز برنامج سورانوس العلاجي لهؤلاء المرضى بشكل أساسي على تهدئتهم، والتحدث إليهم، وإسماعهم الموسيقى، ورواية القصص لهم. وفي المقابل، اقترح تقييد هؤلاء المرضى في أثناء ثورات الغضب، كما استخدم النظام الغذائي والتقيؤ العلاجي ، والحجامة، والتغذية المناسبة للتعامل مع تلك الحالات.(١)

أما كايليوس فكانت وجهة نظره أن الهوس mania ما هو إلا انحراف مزمن للعقل لا تصحبه حُمَّى، وبهذا يمكن تمييزه عن التهاب الدماغ phrenitis.(٢) واستند إلى تلك المعلومة المهمة، باذلاً قصارى جهده في التمييز بشكل منهجي بين حالات التهاب الدماغ وحالات الهوس، فأوصى بالاهتمام بالبحث في تفاصيل بداية الحمى: متى كانت؟ وهل كانت قبل ظهور المرض العقلي أم جاءت بعده؟(٣)

وعلى الرغم من أنه تخلي عن نظرية الأخلاط في تفسير المرض العقلي، فإنه لم يربط بين الاكتئاب والهوس، ولم يتصور أنه من الممكن أن يكونا من أعراض المرض نفسه.(٤) ورأى أنهما مرضان متمايزان يصيبان شخصًا واحدًا. أما أرتايوس؛ فسار على خطى تعاليم أبقراط ونظرية الأخلاط، وتأثير العصارة السوداء في تفسير أصل المرض العقلي، خاصة الهوس mania.(٥) وقال إن مريض الهوس قد يسيء الحكم على الأمور، ويتصرف بشكل مشوش في يوم ما، ثم يكون عاقلاً متزنًا في يوم آخر، وعليه كان من رأيه أن الهوس والكآبة ينتميان إلى المرض نفسه، إذا ظهرا معًا في فرد واحد، وهو الأمرالذى يتوافق تمامًا مع ما يذهب إليه الطب الحديث.(٦)

(1) Chron. 5.144-63., and in Cilliers, and Retief, "Mental Illness in the Greco-Roman Era", pp 130-7.
(2) Cael. Aur. Chron. 1.5.146.
(3) Cael. Aur. Act1t. 1.5.45-48., and in Cilliers, and Retief, "Mental Illness in the Greco-Roman Era", pp 130-7.
(4) Cael. Aur. Chron. 1.6.183.
(5) Aret., 3.6. and in Cilliers, and Retief, "Mental Illness in the Greco-Roman Era", pp 130-7.
(6) Murphy, "The Conceptualization and Treatments for Phrenitis, Mania and Melancholia in Aretaeus of Cappadocia and Caelius Aurelianus", pp 83-92.

الخاتمة:

ناقشت هذه المقالة المرض العقلي المعروف بأسماء "الهوس" "μανία" "*mania*" و"الغضب" "*furor*" و"الجنون" "*insania*" . في ضوء ما كتبه الأطباء والفلاسفة القدامى تحت كل اسم منها، وكيف كانوا يميزون بينها –في دلالتها على صور الجنون– وبين التهاب الدماغ phrenitis. لكن استعمالهم لها كان عامًا غير محدد، ومن ثم دلت على طيف واسع من الاضطرابات النفسية والعقلية –بل والعضوية أحياناً– كالفصام، والاضطراب ثنائي القطب، والهستيريا، وغيرها.

وتثبت الكتابات القديمة أن الاضطراب ثنائي القطب كان موجودًا معروفًا، وأن الأطباء القدامى نظروا إليه على أنه حالة من المرح والاكتئاب غير المبررين. دون أن يدركوا أنهم يرصدون أعراض حالة مرضية واحدة، استغرق منحها اسمًا دقيقًا محددًا مئات السنين!

لقد استعمل الأطباء القدماء كلمتي الكآبة melancholia والهوس mania لوصف حالات من المرض العقلي، غير أنهم ارتكبوا خطأ، مرده إلى افتراض أن أنواع الأمراض العقلية جميعًا متشابهة في الأصل والجوهر، ولا يختلف بعضها مع بعض إلا في العَرَض، ومن ثم كان جمعهم إياها كلها تحت كلمة عامة هي الجنون.

ووضع المؤلفون القدامى –بمن فيهم أبقراط وكلسوس وتلامذتهما– الاضطراب ثنائي القطب إلى جانب غيره من الأمراض العقلية تحت اسم الهوس mania، الذي كان عندهم مرادفًا للجنون؛ ومن هنا جاء الالتباس الذي طالما صاحب هذا المصطلح.

ومن المعروف أن الاضطراب ثنائي القطب قد يورث، وأنه أشد خطورة في حالة الأقارب من الدرجة الأولى. وهذه المعلومة المهمة قد تساعد المؤرخين في المستقبل في رسم خرائط دقيقة، يتتبعون فيها سريان بعض الأمراض العقلية في شجرات نسب العائلات المشهورة تاريخيًّا، ومن ثم خرائط الجينومات لهذه الأمراض، في ضوء السجلات التاريخية المتاحة.

وكان من أهداف هذا البحث أن يثبت أن مصطلح الهوس في التراث الطبي القديم ليس إلا وصفًا للاضطراب ثنائي القطب، وأنه ينبغي إدراج هذا المصطلح الطبي مكان ذاك في ترجمة النصوص القديمة الواصفة له.

المصادر الأدبية والمراجع الأجنبية

أولًا: المصادر الأدبية

Aretaeus, *Copus Medicorum Graecorum II*, 2nd ed, ed., Karl Hude, Berlin: Akademie-Verlag, 1958.

Caelius Aurelianus, *On Acute Diseases and On Chronic Diseases*, Trans., Drabkin, I.E, Chicago: University of Chicago Press, 1952. doi: https://doi.org/10.1163/22977953-0090102008

Celsus. On Medicine, Volume I: Books 1-4. Translated by W. G. Spencer. Loeb Classical Library 292. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1935.

Cornelius Celsus, *On medicine*, vol I, trans., W G Spencer, Loeb Classical Library 292, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1971.

Euripides. Suppliant Women. Electra. Heracles. Edited and translated by David Kovacs. Loeb Classical Library 9. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1998.

Hippocrates. Affections. Diseases 1. Diseases 2. Translated by Paul Potter. Loeb Classical Library 472. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1988.

Hippocrates. Ancient Medicine. Airs, Waters, Places. Epidemics 1 and 3. The Oath. Precepts. Nutriment. Translated by W. H. S. Jones. Loeb Classical Library 147. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1923.

Hippocrates. Coan Prenotions. Anatomical and Minor Clinical Writings. Edited and translated by Paul Potter. Loeb Classical Library 509. Cambridge, MA: Harvard University Press, 2010.

Hippocrates, Heracleitus. Nature of Man. Regimen in Health. Humours. Aphorisms. Regimen 1-3. Dreams. Heracleitus: On the Universe. Translated by W. H. S. Jones. Loeb Classical Library 150. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1931.

Hippocrates. Prognostic. Regimen in Acute Diseases. The Sacred Disease. The Art. Breaths. Law. Decorum. Physician (Ch. 1). Dentition. Translated by W. H. S. Jones. Loeb Classical Library 148. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1923.

Homer. Iliad, Volume I: Books 1-12. Translated by A. T. Murray. Revised by William F. Wyatt. Loeb Classical Library 170. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1924.

Plato, *Phaedrus*, trans., Harold North Fowler, Loeb Classical Library 63, Cambridge, MA: Harvard University Press, 2005.

ثانيًا: المراجع الأجنبية

Bán, Katalin, "Madness in Seneca's Medea and Celsus's De Medicina", Graeco-Latina Brunensia, (2019), pp 5-16. https://doi.org/10.5817/GLB2019-1-1 (accessec 23, Juin, 2022)

Berrios,G E, "Of Mania: introduction: Classic text no. 57 ", *History of psychiatry* 15, no. 57 Pt 1 (2004): pp 105-24. doi:10.1177/0957154X04041829Euripides, *Heracles,* In *Euripidis Fabulae, Vol2,* ed. JDiggle, Oxford: Clarendon Press,1981.

"Bipolar and Related Disorders", in *Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders: DSM-5*, 5th ed. Washington DC: American Psychiatric Association, 2013, pp 123-54.

"Bipolar disorder", *Mayo Clinic*, https://www.mayoclinic.org/diseases-conditions/bipolar-disorder/symptoms-causes/syc-20355955 (accessed June, 22, 2023)

"Bipolar disorder", NHS, https://www.nhs.uk/mental-health/conditions/bipolar-disorder/symptoms/ (accessed June, 22, 2023)

Cilliers, Louise,and Francois Retief, "Mental Illness inthe Greco-Roman Era", in *Mania: Madness in the Greco-RomanWorld*, ed. Philip Bosman, Pretoria: Acta Classica Supplementum III, Classical Association of South Africa, 2009, pp 130-7.

Dailey, Mark, and Abdolreza Saadabadi, *Mania*. [Updated 2022 Jul 19]. In: StatPearls [Internet]. Treasure Island (FL): StatPearls Publishing, 2023, https://www.ncbi.nlm.nih.gov/books/NBK493168/ (accessed June, 22, 2023)

Fiedorowicz, Jess, et al. "Depressive symptoms carry an increased risk for suicidal ideation and behavior in bipolar disorder without any additional contribution of mixed symptoms." *Journal of affective disorders* vol. 246 (2019): pp 775-82. doi:10.1016/j.jad.2018.12.057

Gitlin, Michael, and Gin Malhi, "The existential crisis of bipolar II disorder", *International Journal of Bipolar Disorder* 8, no. 5, (2020). https://doi.org/10.1186/s40345-019-0175-7 (accessed June, 22, 2023)

Kim, Doe-Young, and Michael Camilleri, "Serotonin: A Mediator of the Brain-Gut Connection", *American Journal of Gastroenterology* 95, no. 10 (2000), pp 2698–709.

Kumar, Kishor, and K G Lalitha. "Pharmacognostical and Phytochemical Studies of Helleborus niger L Root", *Ancient science of life* 36, no. 3 (2017), pp151-8. doi:10.4103/asl.ASL_57_16

Mcdonald, Glenda,"Mapping Madness: Two Medical Responses to Insanity in Later Antiquity", in *Mania: Madness in the Greco-RomanWorld*, ed. Philip Bosman, Pretoria: Acta Classica Supplementum III, Classical Association of South Africa, 2009, p 106-26.

Miller, Ian, "The Gut–Brain Axis: Historical Reflections," *Microbial Ecology in Health and Disease* 29, no. 2 (2018), pp 1–9, at 2, https://doi.org/10.1080/16512235.2018.1542921.

Murphy, Kate Elizabeth, "The Conceptualization and Treatments for Phrenitis, Mania and Melancholia in Aretaeus of Cappadocia and Caelius Aurelianus", Master's thesis, University of Calgary, 2013, pp 83-92. doi:10.11575/PRISM/28034

Nelson, Angela, and Smitha Bhandari, "The History of Bipolar Disorder", *WebMd*, https://www.webmd.com/bipolar-disorder/history-bipolar (accessed June, 22, 2023)

Nutton, Vivian, *Ancient medicine*, London: Routledge, 2004.

Walkden, Michael, "That They May Vomit Out Their Folly": The Gut-Mind Axis and Hellebore in Early Modern England", *Journal of British Studies* 61 (2022), pp 535–62. doi:10.1017/jbr.2021.189

Yildiz, Ayşegül, Pedro Ruiz, and Charles Nemeroff, *The Bipolar Book: History, Neurobiology, And Treatment*, Oxford: Oxford University Press, 2015.